ثيوسيديد

المؤرخ العظيم

بقلم الأستاذ أبي « مصطفى »

ولد « ثيوسيديد » سنة ٤٦٠، وتوفى سنة ٣٩٥ ق . م . وهو من أسرة موسرة متصلة ببيت الملك فى تراقة وقد ورث عن أبيه أملاكا واسعة ومناجم للذهب فى هذا الأقليم وانتخب قائداً فى ٤٢٤ ق . م . وكلف بحماية سواحل تراقة بأسطوله، ولكنه وصل متأخراً فسقطت فى يد القائد الاسبرطى

فاتهموه بالخيانة فاعتزل عمله وهجر البلاد ومكث بعيداً عنها نحو عشرين سنة كتب خلالها تاريخ حرب البلوبونيز ، وزار بنفسه البلدان التي حدثت فيها الوقائع الهامة وعاد إلى أثينا سنة ٤٠٠ ق . م بعد أن استولى عليها الاسبرطيون ، ومات سنة ٣٩٥ ق . م موتاً جنائياً ، وقد يقال بأن جماعة من اللصوص فتكوا به وهو عائد إلى تراقة

أما مؤلفه التاريخى فقد نهج فيه منهجاً فلسفياً لاعتقاده أن للتاريخ قوانين لا يحيد عنها ، فبحث فى أسباب الحوادث وتعرف أخلاق الأفراد والشعوب وتكلم فى المواضع الجغرافية ونظام الحكومات وقوة البلاد الحربية وحالتها المالية وفى العلاقة بين ذلك وبين الحوادث التاريخية

واستنتج أن المنفعة كثيراً ما تحدو الناس إلى تخطى الحق وانتهاك حرمة الفضيلة وكان خبيراً بالسياسة عالماً بالحروب ، ويمتاز عن غيره بأنه كان لا يكتب شيئاً إلا بعد أن يتثبت منه ويناقشه بعدل ونزاهة مناقشة خالية من الغرض ، فجاء تاريخه موثوق الأخبار صادق الرواية حسن الترتيب

وإذا كان « أكاتيه » أول من فكر بعض التفكير فى أن يناقش بعض الحوادث التاريخية فان « ثيوسيديد » أول من عرف كيف يضع لمناقشة الحوادث وتمحيصها قوانين لم يحد عنها قيد شعرة كما أسلفنا ، ووصل بحثه إلى درجة يشكره عليها كل

مؤرخ منصف، ويرى القارئ — خلال حوادثه — الطبيعة مرتسمة خالية من كل تكلف عارية عن كل صقال وزينة، ثم إنك لتجد الأشخاص الذين يسردهم لك فى التاريخ يفصحون عن خوالجهم بوضوح تام فتتأثر بأقوالهم كما لو كنت معاصرهم، وتراه يشرح لك بعض الخوالج النفسية كالنفاق مثلا شرحا يبينه لك مجانساً لما نشاهده فى اخلاق معاصرينا، وهو فضلا عن ذلك يتدفق يراعه حكمة وانصافا حين يقص عليك نبأ من الأنباء فتلمح فيه الصدق وصفاء الذهن الفياض مما يجعل أعظم المؤرخين العصريين حقيقاً بدرسه والاستفادة منه !

وإذا شئتم فأنى أحيلكم على وصفه للطاعون فى أثينا فيما لا يتعدى الخمس صفحات وما أوضحه فيه من اضطراب النظام وتحليله الفسيولجى الدقيق الذى يحسده عليه الطبيب الماهر بأسلوب يعلمنا كيف تؤثر الصدق والبساطة فى التعبير على غيرهما ، ولقد ترى فى كثير من أوصافه كيف أن طبع الأنسان واحد لم يتغير — رغم اختلاف الأزمان والبقاع والظروف — وكيف أن طباع وغرائز الآتينين فى ذلك الوقت شديدة القرب جداً من طباع ساكنى لندن وباريس اليوم

ويقولون إن «تيوسيديد» سمع «هيرودوت» المؤرخ الشهير يشرح بعض حوادث التاريخ وكان الأول غلاماً فكى شغفاً بما سمع وهام بالتاريخ هياماً ، وقد أخبر «هيرودت» أبا «تيوسيديد» أن ابنه سيكون مؤرخاً ذا شأن، وقد صدقت نبوءته. وكان شغوفا جداً بهيرودوت المؤرخ

ولقد يذكرنا ذلك بالشاعر «أبى نواس» حين كان صغيراً وكان جد شغوف برؤية «والبة ابن الحباب» الشاعر الذى كان ذائع الصيت فى عصره، وحدث أن أبا نواس اضطرته الحال بعد موت أبيه وهو صغير أن أسلمته أمه إلى عطار، واتفق أن والبة بن الحباب قدم الأهواز فمر بذلك العطار فلقى أبا نواس فتوسم فيه النباهة لصباحة وجهه، ولما جالسه أنس فيه قريحة وقادة، فقال له: إن فيك مخايل أرى ألا تضيعها وستقول الشعر، وعرفه بنفسه ففرح بمعرفته أبو نواس وكان ما قال والبة

نرى أمثال هذه الحكايات غالباً فى تاريخ حياة النوابغ والعظماء ، وعندى أن هذا الشغف الذى يلازم الصبى — منذ نشأته — بأى فن من الفنون، هو وحده آية نبوغه

فى مستقبل حياته، وأنت تجد النابغ يميل من صغره إلى سماع أقوال العظماء وتقدير أعمال النوابغ أمثاله، ولكنه يفرد بالاجلال والاكبار النوابغ فى الفن الذى شغف به

وهذا الشغف الذى بدا على «تيوسيديد» وأبى نواس بما نبغا فيه، هو وحده الدليل الذى استدل به هيرودوت وابن الحباب على مستقبل كل منهما من تلميذيهما !

لقد ملأ هيرودوت أسفاره بكثير من الأحاديث والكلمات الخالدة التى فاه بها أبطاله فوق مسرح التاريخ أما «تيوسيديد» فكان أول مبتكر لسلاسل الخطب الطويلة الشأن التى عابه عليها المعاصرون ولم يقره عليه بعض القدماء — منذ خضعت أثينا السلطان روما — فالشأن فى الأمم المستعبدة أنها رهن إرادة السيد الآمر، على أن الأمر فى الأمم الحرة يرجع إلى قوة الحجة ونصاعة البرهان وأثرهما فى أقناع الناس

كانت الخطب اليق الشؤون بعصر تيوسيديد، فبها استطاع الزعماء أن يسوقوا جموع الأمة إلى أقرارهم على إعلان الحرب وعقد السلم ومد يد المحالفة

وكان لها الأثر الأكبر فى إحلال العقاب بالمجرم الأثيم وتسريح المتهم البرىء، أما رنينها فى مسامع الجند حين يخطبهم قوادهم فكان الأثر الدافع لهم على خوض غمار الحرب، غير هيابين. وكانت أكبر مؤثر فى التاريخ. وانه لحق أن «تيوسيديد» لم ينقل الخطب كاملة كما قيلت، بل نقل ما حصل عليه منها أو على الأقل ما فيها من النقط الهامة، على أنه حين تعذر عليه سماعها ضن بكرامة فنه أن يقررها فى كتابه !

وانه لجميل ما اهتدى اليه (بيرو اليانكور) خلال بحثه وملاحظته الصادقين : من بعد نظر «تيوسيديد» فى إدخال هذه الشؤون البديعة فى تاريخه فقد رفعت قدره

ولقد أصاب إذ رأى أن المحاضر يستطيع ان يتتبع الفكرة ولا يخطئها لطول الحديث وتعدد مناحيه وكثرة الافكار، وعجيب أن تعلم رأيه فى الحوادث الهامة وفى أبطال تاريخه فقد استشف برأيه الثاقب حقائق كثير من المسائل السياسية الشأن وهذا هو الذى ميزه على كثير من المؤرخين، ولقد أعتبرت خطابات «تيوسيديد» شيئاً تكميليا لعمله التاريخى لطولها ولامرما وسعت كثيرا من الاشياء التى لا حاجة بها. فان رغبته فى ان يدون كل الآراء التى علم بها قد أرهقت أسلوبه ولم تسع كلماته معانيه

هذه الخطابات الغنية بمعانيها الفقيرة بألفاظها ومبانيها كانت فى خفائها وغموضها

بحيث تعذر على كثير تتبع أفكار تيوسيديد واقتفاء أثرها، ولذا لم يكن عجيبا ان شيشرون رأى فيها كثيرا من الآراء التى عجز عن ادراكها وتفهمها

وليس السبب فى خفاء آرائه راجعا الى الالفاظ فحسب، ولكن للاضطراب فى الوضع أيضاً. فقد أولع بالمجاز الذى أباه كثير من متفقهى اللغه فى اليونان والذى ذهب ببهاء معانيه. ولطالما أولع باستعمال الأساليب الشعرية الغنائية فتعذر على القارىء أن يتتبع رأيه. ولقد تملكه حب استعمال كثير من الكلمات الدفينة واستحداث كثير من التى لم تعرف وادخاله فى النثر أساليب الشعر

وان اقتناعه بعظمة الموضوع الذى يكتب فيه قد قاده الى الاغراق فى استعمال كثير من الأساليب والتراكيب الغامضة، معتقدا أن جمال الشعر ورفعته مما يلائم تمام الملاءمة فخامة موضوع كتابه (صفة لصقت بنفسه فعلقت بكتابته)

وانه ليتراءى فى أسلوبه جافا لشدة رغبته فى أن يلقى فى روع سامعه المعنى الذى يريده فهو جد مكثر من الكلمات الدالة على النغم، وهو لا يرضى ان يغفل فى كتابته رنين الاسلحة وصراخ الجند وعجيج الجموع الهائلة!

« المقارنة بينه وبين هيردوت »

وان هيردوت لم ينل ذلك التفضيل من نفوس كثيرين إلا لأنه يجهد نفسه فى امتاع القارىء، على ان الراغبين فى اجهاد رؤوسهم فى التفكير لا يحجمون عن تفضيل تيوسيديد

وان غرام ديموستين بتيوسيديد قد دفعه الى نسخ تاريخه ثمانى مرات بيده اذ رآه أكبر مقتدر على الأبانة عما فى نفسه بفصاحة عجز الكثيرون عنها

كتب بعضهم فى علم ذكراه « ليست فصاحة تيوسيديد كما ذهب اليها شيشرون فى كتابه عنه، جد ملائمة لفضاء دور القضاء ولم تكن لتنال الاثر الكبير فى المجامع العامة. ولكنها قدر الخطيب الذى يجد الوسائل المتعددة التى تستنهض الفكر وتعين على تحسين قواعد الفن!»

وان تيوسيديد سبين جميع المؤرخين ـ الرجل المطلع بين رجال الامة الواحدة التى يطمع كل رجل منها أن يكون يوما مديرا لدفة حكومته»

وان مندوبا من كبار نواب الانكليز لم يتردد أن اعلن فى غرفة البرلمان أن من العسير

جدا أن يلقى سؤال أو يعرض مشروع على هيئة التشريع لانترسم فيه شعاعا من نور تيوسيديد

وان شارلكان — أكبر سياسى فى عصره — قددرس ترجمة تيوسيديد الفرنسية (ليسيسيل) واصطحبه معه فى كل رحلاته الحربية ، شأن الاسكندر فى اصطحابه ديوان هوميروس فى معامع فتوحاته

ولم يضع مجهود توسيديد ولم يعجز معاصروه عن الحصول على مسودة كتبه التى سقطت مصادفة فى يد فرد كفء قدير هو (زينوفون) المؤرخ والكاتب الحلو الحديث وان كان يشوبه شىء من الضعف، على خلاف تيوسيديد ذلك المنافس المخيف والمناظر المنتصر ولقد كان فى وسعه أن يخفى اسم تيوسيديد الى الابد ولكن شيئاً من هذه الهواجس لم يداخل نفس (زينوفون) فلقد قنع ان يشيد بناء مجده على نشر قطعة من التاريخ خالدة عجز عن محاكاتها غير أنه رضى بنشرها وتخليدها

***

واذا نظرنا الى العصر الذى نشأفيه تيوسيديد عرفنا السبب الذى جعل له هذه المكانة وادركنا ان الجو الذى نشأ فيه كان جو قادة ومفكرين وأن عصره كان عصر نوابغ، وحسبنا ان نقول انه هو ومن عاصره من النوابغ والعظماء كانوا نتيجة طبيعية لازمة لعصر زاهر كعصر بركليس الذى وصلت فيه اثينا الى ذروة المجد وعلا كعبها فى العلوم والمعارف بعد انتصارها الباهر على الأمة الفارسية ، وأشهر معاصرى تيوسيديد من العظماء هم : اسخيلوس وسوفكليس وافريبيدس من الشعراء، وسقراط الفيلسوف وبقراط الطبيب واريستوفانس الكاتب وليسياس الخطيب ، ولكل واحد من هؤلاء أثر فى فنه شبيه بآثار الآخر . ويمكن ان يقال عنهم بالاختصار : ان كل واحد منهم قد ابتكر نوعا هاما فى فنه وجاء فيه بشىء جديد لم يكن من قبل

وإنى لفتكم ياسادة الى أن سقراط هو أول من قلب نظام التفكير والفلسفة فى اليونان وأوجد طريقة التفكير فيما يكفل للانسان سعادته الحقة ، طارحا كل ماعنى به متقدموه من الترهات

وتيوسيديد هو أول من ابتكر نظاما وقوانين خاصة بالبحث فى التاريخ وجعله

خاضعا للنقد والبحث والتمحيص — كما أسلفنا — وهو يمتاز عن هيرودوت بأن الثانى يكثر من قص الحوادث عليك باسهاب ، بينا نجد تيوسيديد يوجز الايجاز كله فيما يقول دون ان تفلت منه نقطة هامة وهو يفكر أكثر مما يقول، فيضطر المطلع على تاريخه الى التفكير أكثر مما يقرأ

وقد كان بودنا ان نعقد مقارنة شاملة بين هيرودت وتيوسيديد، ولا بأس من تركها الآن

ولقد عاب بعض المؤرخين المحدثين على المؤرخ تيوسيديد شيئاً واحدا وشاركهم فى رأيهم بعض المؤرخين القدماء ، وهو ذكره الخطب أثناء سرد حوادث التاريخ كما أسلفنا، ويمكن أن يدفع عنه هذا الانتقاد بأن ذكر الخطب التى تقال فى عصور الاستبداد والظلم ليس فيه فائدة لأن كلمة واحدة يقولها الحاكم فى تلك العصور كفيلة أن ينفذها الشعب المستعبد دون تردد أو مقاومة ، فاما فى عصور الحرية فان الرأى العام، رأى الشعب، يكون دائماً صاحب الكلمة النافذة المسموعة . فلا يمكن أى قائد أو حاكم أن يحرك دفة الشعب أو يهيمن على الجمهور إلا بالخطب البلاغية الملأى بالتأثير الخطابى والسحر، لذلك كانت أمثال هذه الخطب قيمة باعثة فى القارىء نشاطاً، ولا شك أن الخطب التى نقلها الينا تيوسيديد فى مؤلفه جاءت مختصرة ملأى بالمعانى الجليلة والأغراض السامية وهو لم يدونها بحذافيرها كما قد يتوهم بعض الناس، ولكنه كان يعرف فحواها ثم يعمل على تلخيصها والاتيان بأهم النقط التى يركز عليها الكلام، ولم يشأ أن يقطع على القارىء سلسلة الحوادث بملاحظاته لعلمه بأن تتبع الحوادث التاريخية المرتبطة ببعضها أمر طبيعى

أسباب الحرب البلوبونيزية (بأيجاز)

أولا: دسائس الفرس للتفريق بين اليونانيين

ثانياً: غيرة اسبرطة من نهضة اثينا الأدبية والسياسية

ثالثاً : نفور مدن التحالف من اثينا لمعاملتها معاملة السيد للسود

رابعاً : تذمر الذوريين أهل ميغارا وكورنثة من تعطيل تجارتهن بمنافسة أثينا

هذا وإذا عرفنا طبيعة الأمة اليونانية الجبلية الميالة إلى الشغب وعلمنا أن السبب القوى الذى كان يدعوهم إلى التكاتف — وهو حربهم مع الفرس — قد زال، سهل علينا ادراك أن شبوب تلك الحرب كانت نتيجة طبيعية لهذه المقدمات، ولا بأس من الكلام قليلا

على النقطة الثانية، وهى غيرة اسبرطة من نهضة اثينا الأدبية والمناقشة السياسية بينهما التى بدأت من سنة ٤٣١ إلى ٤٠٤ ق م

وكان كلاهما يطمع فى أن ينفرد بزعامة الأمم الأغريقية ، وكان ثمة عدو ثالث شديد الخطر على أثينا، وهو كورنثه التي رأت أن مصالح اثينا واتساع تجارتها كانت مرتكزة عليها وعلمت أنها تضحى بثروتها فى سبيل انماء ثروة اثينا — وهى لا تنتفع نفسها بهذه التضحية — بينما تجد اثينا ثغورة تيادة متغطرسة عليها ، وكان أهل طيبة يكرهون الاثينيين أشد الكره ويتحينون كل فرصة للانتفاع بها فى القضاء على أثينا التى كان لها اعداء آخرون عديدون ينفسون عليها قوتها ويودون لو سحقوها سحقاً

وأول شرارة بدأت فى شبوب هذه الحرب هي المنازعة التى قامت بين اثينا وكورنثه وأفضت إلى إرهاق الثانية وتدميرها فتظلم الكورنثيون إلى اسبرطة وعضد الأخيرة كثير من البلوبونيزيين الذين أسرعوا الى محالفتها وشنوا جميعاً الغارة على أثينا

وكان سبب هذه الشرارة الأولى هو أن كورنثه لما هممت بتأديب جزيرة كورسيرا مستعمرتها التجأت هذه إلى اثينا لما علمت من قوة كورنثه وأدركت أنها لا تستطيع مقاومتها، وأرسلت وفداً يستنجد بأثينا . وخشى الكورنثيون أن تحالفها اثينا فبعثوا وفدا آخر ليعارض أقوال وفد كورسيرا

وارتجل كل منهما خطبة — غاية فى البلاغه — وعقدت أثينا بعد ذلك جلستين للتحكيم والنظر فى ماقاله كل من الفريقين ، فحكمت لكورنثة فى الجلسة الأولى ، ثم نقضت حكمها فى الجلسة الثانية ، ورفضت محالفتها وأعلنت قبولها محالفة كورسيرا، فاضطرت الثانية للالتجاء إلى اسبرطة التى شدت أزرها وبدأت تلك الحروب الطاحنة التى انتهت بانهاك قوة الاغريق والتى لم تكد تنتهى حتى أغار على بلاد الاغريق الملك الناهض فيليب ملك مقدونيا الناهضة وأبو الاسكندر المقدونى

* * *

وانى أنتقل الآن إلى هاتين الخطبتين النفيستين ، وسترون صدق ذلك حين تسمعونهما وتجدون كيف كانوا يؤدون المعنى بأسلوب سياسى خلاب يصعب على الناقد البصير أن يجد فرقاً كبيراً بينه وبين الأساليب السياسية الحاضرة وما يسمونه لغة السياسة

اليوم، وهما حافلتان بالنقط الهامة، وانى أجتزىء الكلام اجتزاءاً وألفتكم إلى تذكير كورنثة لاتينا فى خطابتها بما أدته اليها من الخدمات الجليلة فى معاونتها فى كثير من الأحيان على اخضاع مستعمراتها واخماد شكواهم وتسألها فى نظير ذلك أن تطلق لها الحرية فى تأديب مستعمرتها كورسيريا كما أطلقت لها الحرية فى تأديب مستعمراتها الثائرة من قبل. وإنى أسألكم: أليس هذا هو ما تتبعه الدول القوية دائما فى اخماد شكوى مستعمراتها — تتغاضى كل واحدة منها عن أعمال الأخرى فى نظير أن تتغاضى الثانية عما تأتيه الأولى من الجور والعسف

وهكذا كان يقتسم الأقدمون البلاد بنفس الطريقة التى لا يزال يتبعها المتمدينون المعاصرون، ولا غرو فان الطبائع البشرية لم تختلف عما كانت عليه منذ آلاف السنين وهى لا تزال كما كانت خاضعة للطمع والجشع

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

واليكم مثلا ما فعله الرومان مع قرطاجنة فيما قاله العلامة مونتسكيو فى كتابه «عظمة الرومان» وهو لا يختلف عما نجده الآن

ويستمرون فى خطبتها أيضاً نقطتين كلاهما لا تقل عن هذه أهمية فى الدفاع عن نفسها فيما اتهمها به الكورسيريون من العسف والظلم، إذ ستشهد أولا على حسن سلوكها وسوء سلوك كورسيريا بأن جميع مستعمراتها على وفاق تام معها وأنهن يحببنها ولم يندعن ذلك الا كورسيريا وذلك يدل على سوء سلوكها الشاذ

و تعتذر عن استعمالها القوة مع كورسيريا بأنها وجدت من غطرستها واعتداءاتها المتوالية ما اضطرها إلى ذلك. ثم تقول: «ولو كنا بادئيهم ألم يكونوا جديرين بأن يرشدونا بالحسنى والأناة؟ إنهم لو فعلوا ذلك إذن لاضطررنا إلى الاعتذار عن خطئنا» وهاتان النقطتان نجدهما واضحتين فى أعمال الأمم القوية دائماً

أولا: إذا ثارت مستعمرة على حاميتها تطالب منها الحرية برفق وأناة فانها لا تصيخ اليها وتستعمل القوة فى إخمادها

فاذا اضطرت المستعمرة أيضاً إلى استعمال القوة مع حاميتها وجدت من الأمة الحامية مثل هذا الجواب وهو «لقد كانوا جديرين أن يرشدونا بالحسنى والأناة لا بالعنف والغطرسة

ثانياً حينما تناقشها الأمة المحمية الحساب أمام آخرين تجد الأمة الحامية تستشهد على حسن سلوكها معها برضاء جميع الأمم الأخرى عنها و حبها إياها وتقول أن هذه شاذة عن بقية المستعمرات ولو ثار سواها من تلك المستعمرات التي تزعم الأمة الحامية أنها ممن يحبنها لكان اعتذارها واحدا لايتغير و هو أن هذه مستعمرة شاذة و هكذا كان شأن كورنته قديماً ، شأن كل قوى فى الماضى والحاضر

واليكم خطبة الكورسيريين

أيها الأثينيون : إن أمة لم تسد إلى جاراتها خدمة ولم تمنحهن يد المساعدة فى الماضى ولم تحالف أحدا منهن قط ولم تسد اليهن صنيعاً يمكن أن تذكرهن به حين تستصرخهن و تسألهن مساعدتها فيرددن اليها الاحسان بالاحسان .إن أمة لم تفعل شيئاً من ذلك جديرة- إذا هى وقفت أمام أحد هؤلاء المستصرخين كما نقف نحن أمامكم الآن نطلب منكم النجدة و المساعدة- أن تبرهن لهم أمرين أساسيين:

الأول أن تثبت لهم أن مساعدتهم إياها نافعة ومجدية أو على الأقل غير ضارة بمصالحهم

والثانى : أنها ستحتفظ لهم بعرفان جميلهم وأنها لن تنساه لهم مادام فيها عرق ينبض

فاذا أخفقت الأمة المستنجدة فى تقرير هاتين النقطتين و إثباتهما فلا تحزن إذا خاب ملتمسها و رجعت بالفشل

وقد عرف الكورسيريون أنهم — حين يطلبون منكم المساعدة - قادرون على تقرير هاتين النقطتين تقريرا، وبهذه الثقة أو فدونا إليكم — فنحن نشعر أن سلوكنا الماضى يجب أن يبدو لكم أنه كان منافياً للحزم ويجب أن نحس أن هذه الأزمة الحالية قد جعلته مضاداً لمصالحنا ، فنحن الذين ضنا بمحالفتنا على كل الناس ولما نمنحها أحداً نأتى الآن ونقف أمام غيرنا طالبين منهم المحالفة .

لقد كان ذلك المذهب السياسى الأول الذى كنا نتبعه هو سبب عزلتنا عن الناس فى هذه الحرب الحالية ضد كورنثة ، وقد بدا لنا جلياً أن إحجامنا عن مشاركة غيرنا فى حروبهم التى اقتحموها و مساعدتهم فى خوض وقائع لاعلاقة لنا بها ولا فائدة لنا منها كان رأيا مأفوناً ملؤه الخطل وضعف الرأى

ونحن و إن كنا ـ منفردين ـ قد قهرنا الكورنثيين بقوانا فحسب ، فاننا نراهم يزدادون زيادة مروعة ويجمعون قوى عديدة مختلفة من أرجاء بيلوبونيزيا و باقي البلاد الاغريقية بحيث لانستطيع مقاومتهم بقوانا وحدها، وأنها ستكون الطامة الكبرى إذا فازوا باخضاعنا فاضطرتنا الحاجة الشديدة إلى استصراخهم واستصراخ كل أمة يونانية أخرى مؤملين منكم الصفح الجميل عن ذلك السلوك الأول المضاد لسلوكنا الحالي والذى نشأ عن خطأ فى الحكم وليس عن سوء نية

فاذا اقتنعتم بوجوب مساعدتنا فانكم بلا ريب مهنئو بعضكم بعضاً للأسباب الآتية

أولا : أنكم تمدون يد المساعدة لأمة ترزح تحت أعباء الظلم دون ان تقترف إثما

ثانيا: ان كل ما نملك الآن من قوة وبأس قد اصبح تحت خطر هذه الحرب الحالية و إنكم إذ اصرختمونا فى مثل هذه الأحوال العصيبة مكنتم لكم فى قلوبنا شكرا يبقى أبد الدهر

ثالثاً: اننا إذا استثنينا قوتكم وجدنا ان قوتنا هى الأولى بعدكم فى «هيلاس» قدروا ذلك منصفين ، ألا ترون كم تكون هذه الفرصة قيمة ونادرة الوقوع وهل ترون أنكى لعدوكم من أن يرى قوتنا الحربية العظيمة النادرة تقدم نفسها لكم بلا اجر و بدون مقابل طائعة مختارة ـ و لها مثل هذه العدد الحربية العديدة المروعة، و تجعلكم تظهرون امام العالم اجمع بمظهر المنتصر لأمة مهضومة الحق، والقوى من فاز فى حرب عظيمة كهذه

تقبلوا كل حوادث من مضى بانعام واناة ، تقبلوا فان صفحات التاريخ امامكم وانا الكفيل بانكم لن تستطيعوا العثور على مثل هذه المعاهدة الفائزة التى يكتسب منها المحالف المساعد من المستنصر به كل هذه المزايا والفخر دون ان يعرض نفسه لخطر او ينفق شيئاً

و لكن قد يحسب احدكم أن نفع هذه الحرب مقتصر علينا فاذا اعتقد أحدكم ذلك فهو جاهل لاينظر إلى ابعد من انفه وهو غافل عن ان السيد من La cedemon ينظر إليكم بعين ملؤها الحقد و الغيرة ، و أن كورنثة القوية تطلع اليكم وهى عدوة لدودة وتحاول اخضاعنا اولا ليكون ذلك سبيلا يمهد لها اخضاعكم فيما بعد وهى تسعى لذلك

جهدها وتتخذ طريقة إيقاع العداوة بيننا وبينكم حتى لا تنضم اليكم ثم هى بعد ذلك شارعة في احد امرين

إما أن تسحق قوتنا سحقاً ثم تشرع فى سحق قوتكم بعد ، وإما أن تضمنا اليها للقضاء عليكم

فواجبنا حينئذ أن نتكاتف معاً وأن نسرع برسم الخطط التى يجب علينا اتباعها ازاء ذلك ، ثم نبدأ بمهاجمتها قبل أن تبدأ هى بمهاجمتنا أولا ، فنشتغل بالدفاع عن أنفسنا مضطرين ، فاذا احتجت على تحالفكم معنا بأننا مستعمرة من مستعمراتها وأن ليس لكم حق التداخل والمحالفة فلتعلم كورنته ان كل مستعمرة تعامل معاملة عادلة تخدم حاميتها التى تنتمي اليها ، ولكنها إذا عوملت معاملة سيئة فانها بلا ريب تصبح غريبة عنها لعسفها . فان المستعمرة لم تخلق لتعبد بل لتعامل معاملة الند للند والقرين للقرين وغنى عن البيان ان كورنثة قد أرهقت ارهاقاً فظيعاً وضعوا أهل أبيدمنس تحت الأحكام العرفية عاملين على إخماد شكواهم بالحرب بدلا من إخمادها بوضع محالفة عادلة

ألا وليكن سلوكهم معنا — على ما بيننا وبينهم من قرابة — مثلا طيباً لكم يمنعكم من الوثوق بهم والانخداع بكلامهم اللين ، ولتعلموا أنكم كلما ازددتم عنهم بعداً كلما كنتم أقرب إلى السلامه والأمن ، فاذا اعترض عليكم بأن قبولكم محالفتنا يعد خرقاً للمعاهدة التى بينكم وبين لسيدمن Lacedaemon فانا نجيب على هذا بأنا أمة محايدة والمعاهدة صريحة النص على أن لأى أمة محايدة حق الانضمام إلى أى جانب تشاء

وانه لمن الأشياء التى لا تطاق أن يسمح لكورنثة ان تضم اليها ماتشاء من قوى عديدة دون أن تقتصر على قوى حليفاتها فحسب ، بل تتعداها إلى جميع قوى « هيلاس » فتجمع منهم عدداً عظيما بينما أنتم تحرمون من ضمنا اليكم والانتفاع بقوتنا مع أن نص المساعدة صريح فى جواز تمتعكم بانضمامنا اليكم وانضمام قوى أخرى غيرنا

ولئن رفضتم محالفتنا — نحن المخلصين لكم — وساعدتم الكورنثيين أعداءكم الذين يتمنون تدميركم فى أقرب فرصة فسيكون ثم مجال واسع لتألمنا منكم ولنا الحق فى ذلك كيف ؟ ؟ أتحالفونهم ثم لا تقتصرون بعد ذلك على منحهم المحالفة بل تتعدون ذلك إلى

اعطائهم مايلزمهم من العدد والذخائر التى يطلبونها منكم — وهم أعداؤكم ومحالفو أعدائكم — وتتخلون عنا نحن الذين لم يسيئوا اليكم قط

لكم منا أن نقسم وأن نثبت لكم محالفتنا إياكم إثباتاً لايجعل مجالا لاحتمال الشك. وإذ بينت لكم الفوائد العديدة التى تكتسبونها بمحالفتنا فى أول خطبتنا فانى أزيدكم وثوقاً بما قلت فأقول : هل تثقون بشيء أكثر من أن نحالفكم محالفة تمحو كل فرق بيننا فيصبح عدو آثيناعدونا وتصبح قوتاناعلى أهبة واستعداد لمحاربة كل خائن ومعاقبة كل معتد ، إذن فتعملوا على أن لاتبقوا أية قوة بحرية خلاف قوتكم وقوة من يحالفكم. فاذا فعلتم ذلك أحرزتم صداقة القوى البحرية العظيمة التى ترغب حينئذ فى الانضمام اليكم حتى لا نمنع من وجودها فى البحر — إذا أقررتم ذلك وخاف أحدكم ان يكون فى ذلك خرق للمعاهدة فانى مجيبه على هذه النقطة

تقرير مبدأ «الحق للقوة»

فلا تخرقوا المعاهدة وانتم اقوياء مرهوبو الجانب والسطوة تتحاماكم جميع القوى خوفا ورعبا خيرلكم من أن تتبعوا نصوص المعاهدة دون أن تحيدوا عنها قيد شعرة واحدة وأنتم ضعفاء لينوا الجانب تطمع فيكم القوى العديدة فيجر ذلك الطمع الى حربكم وقهركم

ومتى كنا معكم فانكم تكونون اقوياء مرهوبى السطوة فاذا فقدتمونا فقدتم قوة عظيمة تجر الى وهنكم، ولا تنسوا ان مصلحتكم فى محالفتنا لاتقل عن مصلحة كورسيريا فى محالفتكم ، وانكم لن تكونوا قد قمتم لآثينا بفروض الخدمة والوطن التى يحتمهما عليكم واجبكم إذا لم تتخذونا عدة لكم وعوناً تدرؤون به حرباً منتظرة قريبا شبوبها وليس فيكم احد يجهل ولاءنا وقوتنا وكفايتنا واستعدادنا لخوض غمار تلك الحرب معكم ، وانى مختصر خطابى بالكلمة النهائية الموجزة لأريكم فيها شدة ما يصل اليه حمق وجهل من يضحى منكم كورسيريا فى هذه الحرب الحالية ، دون ان ينتفع بقوتها. فتعلموا علم اليقين ان فى هيلاس ثلاث قوى عظيمة وهى آثينا و كورسيريا وكورنثة فاذا سمحتم لشتين من هذه القوى ان تجتمعا وضممتم كورنثة اليها فانكم

ستواجهون اساطيل عديدة لكورسيريا وبيلوبونيزيا ، اما اذا حالفتمونا فستكون معكم سفننا تعززكم فى المعركة و تنصركم على اعدائكم

خطبة الكورنثيين

أما والكورسيرويون لم يقتصروا على طلب محالفتهم فحسب، بل تعدوا ذلك إلى اتهامنا بالظلم والعسف، وأبدوا لكم أننا أرهقناهم فى حرب طاغية بجحفة لاحظ لهم فيها، فان علينا أن نبدأ فى مناقشة هذه التهم بادى بدء ثم نتطرق إلى ما جئنا بصدده ونوضحه لكم توضيحا حتى تثق من أننا قد كونا لكم فكرة صحيحة وعقيدة ثابتة عنا وعنهم ، بحيث لا تترددون لحظة فى تخييب ملتمسهم و لكى تكون لكم مندوحة لرفض ماسألوكم فيه — محقين فيما تعملون عادلين فى ردهم خائبين — ذلك واجبنا الاول الذى نبدأ بشرحه و تبيانه . و اليكم برهاننا

أما عن اعتذارهم عن سياستهم الاولى القديمة التى اختطوها لأنفسهم من ميلهم لرفض كل تحالف مع غيرهم من الامم فانها كانت سياسية ظاهرها الاعتدال والحزم و باطنها الخبث وسوء النية ، و ذلك لانهم كانوا لايعربون عن محالفة سواهم إلا خشية ان يطلع على ما يرتكبونه من عسف و إرهاق و استبداد مع غيرهم من الامم المرهقة و حتى لايخجلهم حلفاؤهم إذا رأوا منهم أمثال تلك الافعال المخزية. والكورسيريون — على منعة موقعهم وحسن مركزهم الذى يكفل لهم الاستقلال بانفسهم عن مساعدة الآخرين و يساعدهم على أن يكونوا الخصم و الحكم للأمم المجاورة التى تضطر إلى تحكيمهم فى شئونها إضطراراً — تجدهم قلما يبحرون إلى سواهم من الامم، بينما تدفع الحاجة غيرهم من الامم بحكم المصادفات ان تعرج عليهم فيزورهم كثيرا من الامم القريبة عنهم، والآن وقد انتهينا من تقرير أسباب تألمنا و جشع خصومنا وسوء نيتهم وأثبتنا ذلك بالحجة و البرهان ، فان علينا أن نوضح لكم نقطة تعمد الكورسيريون أن يخطئوكم فى فهمها مؤولين المعاهدة حسب أهوائهم، نعم إن فى إحدى نصوصها ان لكل امة لم يدرج اسمها فى القائمة ان تحالف من تشاء و تنضم إلى جانب من تريد، ولكن لا يفهم من ذلك أن تقبلوا محالفة امة ترمى بانضمامكم اليها الاضرار بأخرى — ذلك شرط خاص بمخالفة لاتؤدى إلى إيذاء الغير وتحدو الامة التى

يبلغ بها الهوس والحمق إلى حد أن تقبل حماية امة مجرمة الى الهلاك و توقعها فى حرب مطاحنة ، ذلك مايؤول اليه أمركم اذا قبلتم معاهدتهم و لم تصيخوا الينا ، فلن تستطيعوا مخالفتهم دون ان تجلبوا على أنفسكم عداوتنا و تشركوهم فى جرائمهم و تقع عليكم طائلة العقاب القريب — كونوا محايدين إن شئتم ، او لا فكونوا مخالفينا ضد الكورسيرين . فأننا لا نزال حلفاءكم فى حين أنهم لم يحالفوكم قط

و احذروا الحذر كله أن تقرروا مبدأ جديدا هو تعضيد الخاطىء و نصر الباطل و تذكروا أننا لم نتعرض لكم و لم نقف فى وجوهكم حين أردتم تأديب الساميانين على خطئهم ، و قد كانت آراء البلوبونيز متشيعة بما يحب عمله ، فأقنعناهم بوجوب الحيدة حتى تؤدبوهم و تمسكنا بمبدإ ان لكل امة الحق فى تأديب مخالفيها (مستعمراتها) وقلنا ذلك أمام اعينهم و أنتم تشهدون

فهل تريدون أن تقرروا مبدأ آخر ، هو تعضيد الخاطىء ؟؟؟

لقد صدرت منهم أهانات متعددة واغاظات متوالية لاتطاق ، وفضلا عن ذلك فانهم كانوا جديرين إذا رأوا منا سوءاً فى معاملتنا أن يترفقوا فى أرشادنا بالحسنى والأناة والتفاهم معا ، لا بأسلوب المتغطرس بل بأسلوب رفيق مخلص — لو انهم افعلوا ذلك معنا إذن لأرغمونا على احترامهم والنزول على إرادتهم ولحفظنا لهم ولاءهم ونبل فعلهم ولما كان فى قدرتنا أن نستمر على عنادنا ومناوأتنا إياهم ، ولكن ماذا نعمل وقد أبوا حسن التفاهم كل الأباء ولم يشاؤا إلا أن يعاملونا باحتقار محض حتى جرهم احتقارهم إيانا وإساءتنا التى لم تقف عند حد الى ان تدخلوا فى ولايتنا (منميس) واستخلصوها عنوة ، ولما أدركوا إننا لن نغتفر لهم هذه الأهانة و رأوا من قوتنا وبطشنا ماهالهم وهلعت له قلوبهم ، لجأوا الى طلب التحكيم

متى يطلبون التحكيم ؟؟؟ ألآن وفى هذا الوقت الذى رأوا فيه أن القصاص حائق بهم والعقاب منزل عليهم ؟ كلا لن يكون ذلك بعد فوات الفرصة وقد كان أحرى بهم أن يلتجئوا اليكم قبل أن يقترفوا الآثام ، لا بعد أن عرفوا انا محاسبوهم على ماجنوه حساباً عسيرا ، فلاذوا بأكنافكم غير مكتفين بما اقترفوا من الآثام ، بل تعدوا ذلك لا الى طلب محالفتكم فحسب ، بل لتشركوهم فى جرائمهم وتقبلوهم — بالرغم من اننا معهم

فى حال عداء وحرب — لقد كانوا جديرين بذلك وقت ان كانوا بمأمن من الخطر . لافى هذه الظروف العصيبة التى يسألونكم فيها ان تمنحوهم محالفة كانوا يضنون بمنحها لأية امة والتى لم يمنحوكم إياها من قبل حين كانوا آمنين

إنهم كما ترون أحوج ما يكونون الى أن لا يحالفوا أحداً يشهد ما يرتكبونه من الآثام والجرائم التى يساعدهم على اقترافها حسن موقعهم ومنعة بلادهم ، وهم كما ترون فى حاجة الى أن يكونوا فى عزلة تامة تبعدهم عن المهيمن والرقيب ، وهى سياسة لؤم ونفاق وخبث لا يستطيعون التملص من مغبتها مهما انتحلوا من الأسباب والاعتذارات .

انهم هنا يدعون الامانة والصلاح والاستقامة وينادون بالعدل ويطلبون التحكيم ، ولو أنهم كما يصفون أنفسهم حقيقة لظهرت منهم بوادر ذلك فى وقت ان كانوا بنجوة من الخطر . وبمأمن من المهاجمة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن لافى معاملة سوانا ولافى معاملتنا .

يقولون انا لم نستعمر لنستعبد ونعامل معاملة سيئة ونحن نجيبهم بانا أيضاً لم نستعمرهم لتصلنا منهم اهانات متعددة وإغاظات متوالية لانستطيع احتمالها ، بل لنكون لهم بمنزلة الأب المخير المحترم ، ونقبل منهم ما يبدونه لنا من شارات الاحترام والولاء . وأكبر دليل على ما نقول أن غيرهم من مستعمراتنا العديدة يحبوننا بل هم يحبوننا حباً جماً ، وطبيعى انه اذا أحبتنا جميع مستعمراتنا وشذت واحدة منها مثل كورسيكا ، فان أسباب شذوذها تكون غير معقولة وتكون ناشئة عن سلوكها الخاص لا غير ، لأن أهلها هم المنفردون — دون سواهم — بالشكوى من معاملتنا . وبديهى أنه ليس هناك سبب يحملنا على افرادهم بمعاملة خاصة .

وأى شىء يدعونا الى أن نخصهم بالحرب دون سواهم لو لم تصلنا اهاناتهم ؟ كيف ؟ ؟ انكم لو قررتم مبدأ تعضيد التأثير المذنب لوجدتم ان الكثيرين من مستعمراتكم قد لجؤا الينا وقت ان تشرعوا فى تأديبهم على عصيانهم ، وسيلحق بكم ذلك المبدأ الجديد من الضرر اكثر مما يلحق بنا ، ذلك ما يقوله قانون المعاهدة

ونحن ننصح لكم ان تظلوا على ولائكم معنا وتظلوا على تقديركم لصنيعنا اذ

ليس عليكم من خطر من جهتنا، فليس بينكم و بيننا شيء من العداء ولا تزال اواصر محبتنا و ولائنا لكم متينة الاسباب والعرى فاحذروا ان تفصموها فى هذه الظروف

ولا تنسوا ان كورنثة قد امرت لكم بعشرين سفينة حربية لمساعدتكم فى الحرب قبل الفتح الفارسى ، فاذا اضفتم هذا الصنيع الى ما عملناه مع البلوبونيز يين فى مسألة الساميانين اذ حملناهم على عدم التدخل فى شأنكم معهم وعدم ابداء أية مساعدة لهم، حتى مكنا كم من فتح اجانيا ومعاقبة سامس (Samos) وعلمتم ان هذا كان شأننا معكم دائما قدرتم اقوالنا وعرفتم ولاءنا

ولا تنسوا اننا اسدينا لكم تلك الخدمات فى الوقت الذى كنتم جد مشتغلين بمناوأة أعدائكم فى تلك الظروف العصيبة التى يشتغل الانسان بها عن كل شيء ، وينسى كل شيء فى سبيل الانتصار على العدو وانتم تعلمون ان فى تلك الأوقات يعتبر عدوا خطرا كل من يعتر ضكم فى سبيلكم ، ولو كان اصدق ولى لكم مخلص فيما مضى و يعتبر صديقاً كل من أدى لكم خدمة ما ولو كان ألد أعدائكم فيما مضى. قدروا كل هذه النتائج منصفين ولينقل شبانكم عن شيوخكم انه « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان »

وأضيفوا إلى ذلك ان ما نشير به عليكم ليس هو الأحكم فقط ، بل أن الحرب التى يجعل الكرسيريون منها شبحاً مرعباً يخيفونكم به حتى تحالفوهم، ليس لها أصل ما ولئن كانت، فانها لا تجشمكم أن تتحملوا عداوة كورنثة القوية المخلصة

فلا تسيئوا إلينا فانا لم نسيء إليكم ، ولا تنسوا كما قلنا من قبل اننا ساعدنا كم فى تلك الظروف التى يتنكب فيها الأخ عن مساعدة أخيه، ونحن الآن فى هذا الظرف العصيب وفى تلك الأزمات التى تجعلنا نعد من يقف فى سبيل تحقيق رغباتنا عدواً ولو كان أو فى الناس لنا فى الماضى . وختاماً أحذركم التحذير الأخير أن تكونوا حلفاء الكورسيريين فى إجرامهم و آثامهم

فاعلموا، وفقكم الله إلى الرأى الأسد وألهمكم الصواب

اعملوا. فان أملنا فيكم عظيم، ولا تنسوا أن تقرروا ما فيه مصلحتكم و مصلحة بلادكم والسلام